الفصل السادس عشر

الصفوف العليا

بالرغم من أن معظم هذا الكتاب قابل للتطبيق على التربية فى أى مستوى من الصفوف المدرسية ، فان الأمثلة والمقترحات المفصلة كانت موجهة فى بادىء الأمر إلى المدرسة الأولية ، وقد بسطت هدفى بوضوح من هذا التوكيد وهو : أنه بدون بداية جيدة ، تكون فرصة التلاميذ ضئيلة فى النجاح فى أية مدرسة ثانوية ، والأطفال الذين لا يقرأون فى المدرسة الأولية يجدون المدرسة الثانوية شبيهة بها ، بصرف النظر عن البرنامج أو المدرسين أو الفلسفة ؛ ولكن أطفالا كثيرين ممن يتركون المدرسة الأولية بأساس جيد إلى حد ما ، يفشلون فى المدرسة الثانوية التى لا يوجد بها برنامج ملائم عميق الفكر ومعقد .

معظم المدارس الثانوية لديها برنامج مدرسى للطلبة المتجهين إلى الكلية ، ويضاف إلى ذلك فى بعض المدارس الثانوية بالمدينة المركزية برنامج حرفى واف لأولئك الذين يهتمون بحرف نوعية قليلة مثل الآليات الذاتية الحركة ، ومع ذلك فان كثيراً من الطلبة غير المقيدين بالكلية ، وغير المحددى المهنة يجدون قليلا من المعنى فى الدراسة أو المهنة ، ولكى نكون واقعيين ، نقول إن التدريب المهنى الذى يعطى فى المدارس الكبرى ، كثيرا ما يكون إما مهجورا ، وإما أن يكون ميسراً لعدد من الطلبة أقل كثيرا ممن يرغبون فى إدراج أسمائهم فيه . وتستطيع المدارس الثانوية القليلة أن تتحمل شراء التجهيزات أو المحافظة عليها لمجاراة المعرفة التى تتطلبها أعمال التقنية العصرية . ومن حسن الحظ أن معظم المهن غير الحرفية تحتاج فى الواقع إلى قدر قليل من التدريب المتخصص السابق على العمل ، أما المهارات النوعية الضرورية ، فيمكن تعلمها بصورة أفضل أثناء العمل ، والدعوة موجهة إلى الطلبة

المسئولين الذين يتخرجون فى المدارس الثانوية بمهارات (يغلب أن تكون القراءة والحساب) لكى يتعلموا بسرعة ؛ ويؤكد كثير من الرجال الموظفين الذين تحدثت معهم أن المسئولية الشخصية والمهارات الأساسية أهم من المهارات النوعيـــة التى تعلم فى high schools — فالشخص المسئول الخاضع للتدريب — وهو الذى يأتى للعمل فى الوقت المحدد ويصغى إلى التعليمات ويساعد الآخرين — هوالذى يبحث عنه فى لهفة أكثر من الخاضع للتدريب الذى أعد إعداداً مهنياً طويلا ، ولكن مميزاته الشخصية ضعيفة .

وسواء كانت المدارس الثانوية تقوم بعمل نافع فى إعداد الطلبة للكلية أو للعمل ، أو لا تقوم . فان الجمهور يظن أنهم أكثر أهمية وأنهم راغبون فى الصرف عليهم أكثر مما يصرفون من أموال على المدارس الابتدائية ، وأنا أؤكد أن هذه الأولوية خاطئة « فالمدرسة الابتدائية أكثر أهمية ، ويجب أن يصرف عليها مال أوفر . لكى يبدأ الأطفال بداية حسنة » ، ويجب أن تواصل المدرسة الثانوية تدريس المهارات . ويجب إدماجها فى مجموعة دراسات المعلومات ، كما يجب على كل طالب أن يصبح مؤهلا لمهارات الاتصال — القراءة والكتابة والكلام — ويجب أيضا أن يتلقى تعزيزاً أقوى فى المدارس الثانوية ، وكثيرجدا من طلبة الكلية لديهم دراسات ضرورية كثيرة جداً فى مادتهم الأساسية بحيث لا يستطيعون تلقى دراسات فى الفنون والعلوم الإنسانية .

إن المقترحات المقدمة لجعل المشاركة والملاءمة والتفكير حقيقة واقعة فى المدارس سيكون الاستعداد للموافقة عليها فى المدارس الإعدادية أكثر منه بالمدارس الثانوية ، فالموظفون الرسميون المنتخبون الذين يشرفون على سياسات مدارسنا يتفقون عادة على أن المفاهيم الثلاثة ضرورية لتلميذ المدرسة الأولية ؛ ومع ذلك فان مدرسى المدارس الثانوية الذين يدعونها فى تدريسهم بما ينتقدون ، بل تشن عليهم حملة عنيفة ، إذ يخشى بنوع خاص من

الملاءمة ، وبالرغم من زهونا بمجتمعنا الحر (فى أحاديثنا على الأقل) فإننا نميل إلى عدم الثقة فى مدرسينا الذين يشتركون مع كبار الطلبة ويحملونهم على التفكير فى المسائل ذات الملاءمة فى أيامنا ، ونحن لانتعلم مطلقا أن من واجبنا مشاركة الطلبة فى مناقشة الموضوعات ذات العلاقة بالموضوع عندما نكون صغارا ، فى الوقت الذى يتطلعون فيه إلينا ويثقون فينا . وفشلنا فى عمل هذا يشكل سبباً جوهرياً لسوء الظن السائد فى هذا العهد ، ومثال ذلك الموضوعات العقلية ، الضرورية للكبار الذين يقرأون هذا الكتاب «كالحرب ، والسياسات ، والدين ، والإجهاض ، والحب والجنس والحبوب وتنظيم الأسرة ، وتوزيع المناطق ، والتأثير على أعضاء الهيئة التشريعية ، والضرائب ، والمخططات » كل هذه الأشياء لا تناقش ألبتة بعمق ومدلول فى أية مدرسة ، فان كنت مخطئاً ، فأنا على استعداد أن أقف محايداً ، ولكنى أعرف أن قليلا من المدرسين أو الطلبة ، إن وجدوا ، يمكنهم تفنيد هذا البيان تفنيدا فعالا .

إن الأفكار التى تتناول وثاقة الصلة التى أعرضها فى هذا الفصل ستغضب البعض وتخيف آخرين ، وكثيرون سيرفضون أفكارى على أنها جديرة بالمديح ولكنها غير عملية ، ولسوء الحظ أننا ما لم نجرب بعض الأفكار التى توصف بأنها غير عملية ، فسنجد أن فشل التلاميذ سيزداد باستمرار ، والفشل أبعد من أن يكون نتيجة عملية للتربية . ويمكننا التساهل وحسب فى نسب مئوية معينة من الفشل قبل أن نصاب بخلل اجتماعى ، ولا أعرف ما هى هذه النسبة المئوية ، ولكنى أعرف أنها تتجاوز فعلا النقطة الحرجة فى كثير من مناطق مدينتنا المركزية ، وهى تتزايد فى الضواحى .

دعيت منذ سنوات لأقوم بعمل رئيس مجلس المحلفين الطلابى الذى كان جزءا من مجلس الآباء PTA فى المدرسة الأولية التى يذهب إليها أطفالى ، ودعى سبعة من تلاميذ الصف العاشر الذين دخلوا المدرسة عند افتتاحها قبل عشر سنوات مضت ليناقشوا تجربتهم بالمدرسة الأولية إذ أنها متصلة بالمدرسة الثانوية الدنيا التى أصبحت الآن مدرسة ثانوية عليا ، وجاء الطلبة المفكرون

والناجحون بوجه عام من مواطنهم حيث تعانى التربية من الضغط . وتركزت المناقشة حول مدى اختلاف المدارس الثانوية الدنيا والكبرى الموضوعى إذا قيس بذكرياتهم عن المدرسة الأولية الأكثر ذاتية ، أو تنحو نحو المشاركة من الناحية العملية ، ولكنها تبدو كذلك عند استعادة الماضى إذا قورنت بمدرستهم الحالية ، وكان الفرق هاماً جداً فى نظرهم ، إذ اعتقدوا أن المدرسة الأولية لم تعدهم إعداداً حسنا لتلقى الصدمة التى أصابتهم من التربية الموضوعية فى الدراسة الثانوية . والقضاء على هذه الصدمة ليس مشكلة المدرسة الأولية بطبيعة الحال ، وظاهر أن التغيرات يجب أن تجرى فى المدارس الثانوية ، والشكوى من أنهم فى المدارس الثانوية الدنيا أو الكبرى لا يعرفون المدرسين حق المعرفة . وقال التلاميذ نتيجة لذلك أنهم كثيرا ما كانوا يقاسون لفهم ما ينتظر منهم ، وكانوا آنئذ مجرد وجوه على مقاعد بدلا من « جيم أو جان أو جوان » المعروفين جيدا طوال السنوات الست الأولى فى المدرسة ، فتخيلهم معرفة مدرسيهم معرفة وثيقة لم يسعدهم ، وكانوا يسألون مراراً وتكراراً « هل هناك طريقة ما لمعرفة مدرسينا معرفة أوثق ، ولكى يعرفنا مدرسونا على وجه أفضل ؟ » فهؤلاء التلاميذ كانوا غير مندمجين ويشكون مر الشكوى .

والنقطة الأساسية الثانية التى أوردها هؤلاء التلاميذ الناجحون هى : هل تعليمهم كان ذا علاقة ضعيفة بحياتهم ، ومما يبعث إلى العجب حقاً أنهم ارتضوا هذا باستعداد أقوى كثيراً من حاجتهم إلى المشاركة . وهناك علاقة ضعيفة جداً بكثير من عملهم المدرسى ، بحيث لم تكن لديهم خبرة كافية بالتربية الملائمة ، حتى لكى يعرفوا ماذا ينقصهم . وظن التلاميذ ، لعدم توقعهم فى الحقيقة ، ارتباط المدرسة بحياتهم ، أنهم يستطيعون معرفة القدر الكافى عن العالم فى الجو الفكرى السائد فى بيوتهم ذات الوعى التربوى ، ومع ذلك ، فان الحاجة إلى الترابط ، وغموض شخصية المدرسة كانا سائدين . ولما كانوا وثيقى الصلة بوالديهم وبغيرهم من الكبار فى الجماعة ، ولكونهم

كانوا قريبين من مدرسيهم بالمدرسة الأولية ، فقد امتعضوا لعجزهم عن التقارب من مدرسيهم فى المدرسة الثانوية الدنيا أو الكبرى .

يشعر الأطفال الذين ينقصهم الدافع القوى ، الداخلى والخارجى ، بوطأة ألم التربية الموضوعية فى المدرسة الثانوية ، بدرجة أشد حدة من الأطفال الذين يمتازون بدافع أقوى ، وفى اعتقادى الذى عززته السنين الطويلة من التحدث إلى الفتيات فى فنتورا ، أن الأطفال ذوى الدافع الضعيف يشعرون بألم شديد جداً حتى أنهم ينسحبون بدنياً أو عقلياً من المدرسة ، وهم يسلمون فى توقفهم عن الترابط ، بأن المدرسة مكان غير شخصى لا يساعد على إشباع حاجاتهم . ويستجيب التلاميذ ذوو الدوافع ، إلى الألم بمحاولة أصعب ، ويتخلص الآخرون من الألم بالفشل والانهيار .

وبالإضافة إلى إزالة الممارسات التربوية المذكورة فى الفصول السابقة يجب أن نعمل على جعل المدرسة الثانوية مكاناً أكثر تحمساً وأكثر ذاتية للطلبة ، وليس هذا تدليلا للطلبة ، بل على العكس ، شفقة بسيطة ونظرة سليمة فى الوقت معاً ، فالأولى تخفف أو تزيل الألم الذى يحسه الطالب ، والثانية ، لأننا نجعل التربية أفضل دون أن نبذل أى مال أكثر . وإذا صرفنا قدراً أوفر من المال على المدارس ، كما يعتقد بعض الناس أنه ضرورى ، فانا سنكسب فائدة ضئيلة منه ما لم نخلق بيئة أكثر مشاركة .

وحل مشكلة اللاذاتية بالمدارس الثانوية ليست بالأمر اليسير ، وهناك اقتراح واحد أعتقد أنه ذو قيمة ، وهو زيادة استخدام الحجرة العادية home room وتستخدم الحجرة العادية عادة فى الإجراءات والبلاغات الإكليريكية (الخاصة بشئون الكنيسة) ، ويمكن استخدامها إذا ما أفسح لها وقت أطول فى حل المشكلات الاجتماعية واجتماعات الفصل المفتوحة الشبيهة باجتماعات تلاميذ المدارس الأولية المذكورة فى الفصل العاشر . ويمكن أن تكون الاجتماعات خطوة كبرى نحو تقليل لاذاتية المدارس الثانوية إذا عقدت

مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع ، يضاف إلى ذلك أنه يمكن عقد اجتماعات الفصل فى الدراسات الاجتماعية وربما فى فصول أخرى مرة على الأقل فى الأسبوع . ويصل التلاميذ والمدرسون فى اجتماعات الفصل إلى معرفة كل منهما معرفة أفضل ، ويصبح التلاميذ أكثر مشاركة للمدرسين فى تجربة حل المشكلات التى يمكن أن يفشل فيها أحد ، ولإفساح الوقت لاجتماعات الفصل ، يمكن إسقاط بعض المقررات الدراسية الأقل أهمية من المنهج . يكون التلاميذ المدربون على اجتماعات الفصل أقدر على الاشتراك فى مناقشات موضوع المدرس المألوف ، فنحن لا نستطيع تدريس التلاميذ كأفراد حين تكون الفصول كبيرة ، ويجب أن تستخدم مناقشات الفصل على نطاق أوسع ، إذ هى توفر الفرصة لكل من المشاركة الفردية والمشاركة الجماعية .

ويمكن تخفيف اللاذاتية فى المدرسة الثانوية أيضا بالسماح لجميع التلامذ بالاشتراك فى الأنشطة الخارجة عن المنهج ، فهى تبدأ فى المدرسة الأولية وتهدأ فى المدرسة الثانوية ، وأكثر الأنشطة جاذبية وإمتاعاً تتاح فقط للأعظم موهبة والأكثر مهارة أو الأكثر ذكاء وأوفر عملا ، أما اللاعب الرياضى العادى ، والدارس المتوسط ، والممثل المتوسط والموسيقى المتوسط فيهمل عادة ، ولا يستطيع أيضاً الطلبة الموهوبون ، كما جرى نقاشنا فى الفصل السادس ، أن يشتركوا فى معظم الأحوال ، ما لم يحصلوا على تقديرات عالية . ونحن نحاول فى مدرسة فنتورا التأكد من أن الأنشطة غير المنهجية (وأنشطتنا محدودة إلى أقصى حد) لا تسيطر عليها قلة ، وتستطيع المدارس العامة أن تفعل نفس الشىء . ومدرسة بيرشنج نموذج فى المستوى الأولى للبرنامج الذى يشمل جميع التلاميذ ، ويمكن إنشاء برامج مماثلة تستعمل فى المدارسة الثانوية الصغرى والكبرى . والمشاركة فى الأنشطة اللامنهجية تعوض التلاميذ الموهوبين ، أصحاب التقديرات العالية (أى أولئك الذين يسمح لهم بالمشاركة) الحاجة إلى المشاركة التى يقابلونها فى الفصول النظامية ، بل إن التلميذ المتوسط هو الذى يحتاج إلى الاتصال الشخصى بهيئة التدريس

الملازمة لهذه الأنشطة أكثر مما يحتاج التلميذ الناجح ، فزاملة الأقوى والأكثر موهبة تزيد من فرصة نجاحه . ولما كان النجاح فى الأنشطة اللامنهجية (وكذلك فى البرنامج المدرسى) يتصل إلى حد بعيد بالمشاركة ، فيجب أن نحاول إشراك كل التلاميذ ، وبعزل الناجحين الذين يحصلون فى المدرسة على كل ما هو حسن ، عن الفاشلين الذين لا يحصلون على شىء تقريباً ، عزلا حاداً ، يمكن أن يغير النظام الحالى ، بأن نضمن ربط المجموعتين بواسطة منح المجموعة الفاشلة فرصة المشاركة فى الألعاب الرياضية والموسيقى والفن المسرحى وغيرها من أنشطة المدرسة المسلية .

هناك مشكلة خطيرة فى المدرسة الثانوية هى التلميذ الذى يقوم بعمله على وجه سىء ، ويبدو أن الحافز على تحسين عمله ضعيف ، ويقول كثير من المدرسين أنهم لو اتسع وقتهم للعمل مع الطلبة كأفراد ، لكان فى الاستطاعة تعليمهم قدراً أكبر ، ولكن لسوء الحظ أن الفصول الكثيرة العدد فى معظم المدارس الثانوية تمنع المدرسين من إعطاء التلاميذ كثيراً من العناية الفردية . وهناك وسيلة لتعويض ضيق وقت المدارس ، وهى أن يقوم الطلبة القادرون بمساعدة أولئك الذين لا يحسنون العمل فى موضوعات معينة ، فمثل هذا البرنامج قد طبق بنجاح فى مدارس عدة . ويمكن أن يتطوع المدرسون الخصوصيون أو ربما يقوم المدرس بتعيينهم ، فالوقت يتسع للطلبة الذين يقومون بمهمة المدرسين الخصوصيين ، فى حين لا يتسع وقت المدرسين للقيام بهذه المهمة ، فيقدمون مساعدة ملحوظة لزملائهم المبطئين بالفعل ، ويجب أن يكون هؤلاء المدرسون فى الصفوف العليا ، وبالضرورة من نفس مستوى الصف الدراسى تقريباً ، أما فى الصفوف الدنيا ، فيبدو أن المدرسين الخصوصيين الأكبر سناً يمكنهم تقديم أكبر عون . وربما يرجع كثير من نجاح برنامج التدريس الخصوصى إلى المزاملة ؛ والالتفات الشخصى الذى يعطيه الطالب الناجح للطالب الفاشل . ويزامل الطلبة الفاشلون عادة بعضهم

بعضا وحسب ، ولا يعرفون ألبتة الطلبة الناجحين ، ويكون الطلبة من مختلف القدرات معاً أثنـــاء الدورة فى موقف يستفيد منـــه الفريقان . وبالإضافة إلى معاونة التلاميذ المبطئين ، فان المدرس الخاص نفسه يتعلم معلومات أكثر من الموضوع الذى يحاول تيسير فهمه على التلميذ ، والدراسات التى أجريت على التلميذ بمهمة المدرس الخاص قد أظهرت كذلك ما يدعو إلى الدهشة إلى حد ما ، وذلك أن إعطاء الفرصة للفاشلين ، وتشجيعهم يجعل فى الإمكان استخدامهم فى تدريس صغار التلاميذ الفاشلين بنجاح . وواضح أنه حين يطلب إلى التلميذ الضعيف مساعدة تلميذ آخر ، يبدأ فى إثبات ذاته ، لا كفاشل ، ولكن كناجح ، ومادام ناجحاً فهو يعمل على تصحيح عيوب تعليمه هو ، لكى يستطيع أن يصبح مدرساً خصوصياً فعالا ، فيدرك التلميذ الذى يعمل معه ، أنه مدرسه الخاص برغم أنه كان فاشلا ، لم يعد بعد فى موقف الفاشل ، واكتسب الحافز إلى التعلم . ورؤية التغير يحفز الطالب الضعيف كذلك إلى التغير ، وكثيراً ما لاحظت هذه الظاهرة فى فنتورا ، وذلك أن الفتيات الذكيات ذوات الاهتمام اللائى كان عملهن ضعيفاً فى المدرسة من قبل ، قد نجحن فى التدريس الخاص ، بل إنهن استطعن فى بعض الأحيان تعليم فتيات جاهلات ، القراءة . ويندر استخدام التلاميذ فى الوقت الحاضر كمدرسين خصوصيين ؛ وإذا وجدوا فيكون عادة فى مدرسة واحدة أو فى مدارس قريبة . أما برامج التدريس الخاص الشائعة ، التى تستخدم طلبة الكليات والكبار فى ظل رؤية جديدة وبرامج أخرى ، فهى صالحة ، ولكنها محدودة أكثر مما ينبغى ، ويأتى « أقوى تطبيق إيجابى من استخدام جماعة الطلبة نفسها » .

وشكوى التلاميذ الدائمة هى أن عملهم المدرسى لا يعدهم للحياة فى العالم الواقعى ، بل يبدو أنه شىء منفصل عن الحياة ويتميز عنها ، وتبرر شكوى التلاميذ إلى حد ما ، لأن المدارس منعزلة عن بقية الجماعة ، ولتحطيم هذه العزلة يجب على المدارس البحث عن أناس فى الجماعة يرغبون فى التحدث

إلى التلاميذ فى مجموعات كبيرة وصغيرة على السواء . ويجب أن يكون ما تختارهم المدارس من كل مهنة ، مترابطاً وحماسياً وشخصياً ، كما يجب أن يطلب إلى القادة المسئولين فى الجماعة ، الحضور إلى المدرسة ، لا لإلقاء حديث رسمى على الطلبة أو حفزهم على بذل جهد أكبر فى الدراسة ، ولكن للتحدث بحماسة وذاتية ، ثم قبل كل شىء « بصدق » و « ليس إلى » مجموعات الطلبة الراغبين ، ويشكو الطلبة ، ولشكواهم بعض التبرير ، من أن عالم الكبار يتحدث إليهم باستخفاف ، وقد يكون الأصح أن الكبار يفشلون جميعاً فى إنشاء علاقة مع المراهقين . ونحن نتوقع بطريق أو آخر ، أن يختفى فشلنا فى النهاية ، فى التحدث والإصغاء بعضاً إلى البعض ، فاذا لم يحدث هذا ، فلنسلم بعجزنا عن الاتصال ، قضاء وقدراً كما سلم كل جيل قبلنا منذ عهد سقراط .

إن من أسباب وجود الهوة الشائعة بين الجيلين ، أن المسئولين الكبار فى الجماعة يتحدث بعضهم إلى بعض ، بدلا من تحدثهم إلى الطلبة عن عالمهم المشترك ، فالحديث إلى التلاميذ يمكن أن يساعد على جعل ما يتعلمونه فى المدرسة أيضاً بالحياة ، وإلا ظل فى معظمه معلومات ميتة ، فالقاضى مثلا يمكن أن يتحدث عن مشاعره نحو الصغار من الناس الذين يراهم أمامه فى المحكمة ، واهتمامه بالسبب الذى أوجدهم هناك ، وأفكاره عما يمكن أن يفعلوه خيراً من هذا ، فحديثه تقييم صادق لمركزه فى الجماعة ، فيما يتعلق بالمراهقين ، يمكن أن يتضمن إجابات الأسئلة التى يوجهها الطلبة . وبعد مناقشات كهذه مع القضاة وما يشبهها مع رجال الشرطة ، يغلب أن يحافظ الطلبة على احترام القانون . ويمكن أيضاً أن يطلب إلى الوزراء والمحامين والأطباء والسياسيين الحضور إلى الطلبة وتشجيعهم على توجيه الأسئلة ومعاودة الإجابة على هذه الأسئلة إذا لزم الأمر على الناس فى كافة مسالك الحياة العامة والخاصة ، فهم إذا احترموا مواطنينا الصغار ، فانهم يظفرون بدورهم باحترامهم ، ويجب ألا يقتصر مديرو المدارس ومجالس إدارتها على أن يكونوا أقوياء

بدرجة تكفى للسماح بتبادل الآراء ، بل يجب أن يكونوا هم القادة الذين يجرون هذا التبادل .

وتتساوى أهمية حمل الكبار لمسئولية التحدث إلى التلاميذ فى المدرسة مع إعطاء التلاميذ فرصة التعبير عن أفكارهم أمام الكبار الذين يشرفون على حياتهم المدرسية ، فيجب أن تضم معظم اجتماعات مجالس الإدارات المدرسية ، وهيئات التدريس ، والآباء مع المدرسين ، والطلبة ، وأن يسألوا عن آرائهم ، لأن فشلنا فى الإبقاء على الحوار مع الطلبة يبذر بذور التمزق السائد فى حرم الجامعة ، ونحن نستطيع تلقى إشارات من القمر ، ولكنا لم نتعلم الاتصال بصغارنا من الناس ، فهل يمكن أن يعنى فشلنا فى عمل هذا أننا بوصفنا كبارا نخشى أن نسمع ما يجب أن يقوله الجيل الأصغر ، لأنه قد يكون أقرب إلى الحق من تبريراتنا نحن ؟ إن اجتماع الفصل الخاص بالكذب الذى ذكرناه فى الفصل الثالث عشر يبين أن الإجابة نعم ، فيجب أن ننظر إلى أنفسنا كما يرانا الصغار ، ويجب أن نستمع إليهم ونتحدث إليهم ، كما يجب على المدارس والجماعة أن تفعل ، لأن المدرسة المنعزلة مدرسة غير ملائمة .

هناك طريق آخر تتخذه المدرسة للمحافظة على الاتصال بالجماعة وهو دعوة خريجيها إلى العودة إليها ، الناجحين والفاشلين على السواء ، فعندما تعود فتاة إلى مدرسة فنتورا للزيارة بعد انقطاعها بعض الوقت ، كانت صديقاتها القديمات والفتيات المستجدات يتقن إلى التحدث معها لمعرفة ماذا تعمل وماذا تواجه من مشكلات وماذا تلقى من نجاح ، إذ يمكننا أن نحاضر لمدة عام ، ولا نساعد بقدر ما تساعد فتاة واحدة ترجع إلى المدرسة وقد التحقت بعمل ناجح ، أو ناجحة فى المدرسة أو وفقت فى زواجها ، ويمكن أن يكون لزيارة الخريجين فى مدرسة ثانوية نفس القيمة ، فالخريجون منذ عام إلى عشرة أعوام ، يكونون من نفس الجيل كالتلاميذ، ولذلك يكون الاتصال سليما ؛ ومع ذلك يكون لديهم التجربة السابقة التى تنقص الطلبة ، فيجب

دعوة الخريجين للنقاش مع الطلبة ، لا فى جوانب نجاحهم وحسب ، بل فى فشلهم . ويجب أن تتركز المناقشة فى حياتهم منذ تركهم المدرسة ، وكيف يربطون تربيتهم بما حدث لهم ، ويمكن أن تكون آراء المتخرجين الصغار ذات قيمة أيضاً لموظفى المدرسة ، فقد تركوا المدرسة منذ مدة كافية لاكتساب نظرة معينة إلى المستقبل ، ولكنها مدة ليست طويلة جداً بحيث لا تكون نظرة المدارس إلى المستقبل مختلفة عنها ، أو يكونون هم قد نسوا حقيقة ما كانت عليه هذه النظرة .

إن التأديب ضرورى فى المدرسة الثانوية كما هو الحال فى المدرسة الأولية ، فبعد تطبيق بعض المقترحات الواردة فى هذا الكتاب ، ستقل مشكلات التأديب كما حـــدث بمدرسة فنتورا . وعندما تكون التربية متشابكة وملائمة وشديدة الاهتمام ، ينجح التلاميذ ويقل الاضطراب ، ولكن تظل هناك مشكلات على الدوام . لقد أكدت فى الفصل الرابع عشر أن التربية الجيدة لا تستطيع أن تتم فى جو مشوش ، إذ يجب أن يكون للطلبة صوت مسموع فى وضع القواعد وفى تغييرها ، ولكن لا يقبل عذر فى عدم اتباع القواعد المعقولة ، ومع ذلك فان بعض التلاميذ لا يتبعون القواعد ، فيجب أن تعاملهم المدرسة بطريقة إيجابية . والعقاب كما سبق أن قلنا لا يجدى ، فالتلاميذ الذين يكسرون القواعد بالمدرسة الثانوية ، ويعاقبون كثيراً ، لا يعنى العقاب عندهم شيئاً . وبالرغم من وجود عدد من المستشارين بالمدرسة الثانوية أكثر منهم فى المدرسة الإعدادية ، إلا أن هذا العدد لا يكفى للاستشارة الشخصية ، ومهما كانت الحال ، فقد تكشفت تجربتى عن أن الاستشارة الجماعية أعمق أثراً بكثير ، وفى كل الأحوال تقريباً ، من الاستشارة الفردية ، وأن المجموعات المكونة من عشرة إلى عشرين ، أقوى تأثيراً من المجموعات التى تضم من خمسة إلى عشرة .

ومع ذلك فان معاملة التلاميذ غير الناجحين فى مجموعة دون غيرهم ، لا تكون ذات تأثير فى المعتاد ، ولما كانوا بحاجة إلى المشاركة مع التلاميذ الناجحين ؛ لكى يصبحوا هم أيضاً ناجحين ، فيجب أن يتمازجوا مع الطلبة الناجحين . ويمكن أن يطلب إلى الطلبة الناجحين أن يكلفوا بالاشتراك فى

مجموعات يحاول فيها الفاشلون فى المدرسة حل مشكلاتهم . ولما كان لا يوجد أحد كامل النجاح ، ولا أحد كامل الفشل ، فيستطيع كل تلميذ فى مجموعة مختلطة أن يساعد زميله ، وأن يتعلم فى نفس الوقت ، ومعظم التلاميذ يستمتعون بالمقابلات الجماعية ، ولا يلحق بأحد أذى دون شك ، وقد وجدنا حتى بمدرسة فنتورا أننا بحاجة إلى خلط فتياتنا خلطاً عشوائياً لكى تستطيع أقوى الفتيات وأشدهن حافزاً مساعدتنا مع أضعف الفتيات . والجماعات التى كانت تضم فتيات غير مسئولات وحسب ، لم يقدر لها غير قليل من النجاح ، وتستطيع المجموعات بقيادة المستشارين أو المدرسين أو المديرين أن تتقابل بعد المدرسة ، أو على الأقل فى الاجتماعات القليلة الأولى أثناء ساعات الدراسة . ويجب ألا يكون عقاب التلاميذ ناجماً من الاجتماعات (أو من أى إجراء مدرسى آخر) ، أما الحرمان المؤقت من المدرسة ، فيجب أن يكون آخر ما نلجأ إليه ، ويجب أن ينتقل الطلبة المتمردون من المجموعة ، إلى الحرمان المؤقت ، وذلك حين يكونون غير متعاونين كلية ، ومن الحرمان المؤقت إلى المجموعة عندما يختارون إعادة الكرة . ومع أنه يجب بطبيعة الحال ، مناقشة مشكلات الطلبة فى اجتماعات المجموعة ، فيجب أيضاً أن تؤدى إلى مناقشات عقلية مفتوحة لكى يستطيع الطلبة الفاشلون التفكير ، والظفر بمتعة هذا العمل بصحبة غيرهم من الطلبة المفكرين ، وهم كثيراً ما يباغتون بذلك . والاجتماعات التى تضرب باستمرار فى نغم واحد ، وهو مشكلة التأديب كما بحثت فى الفصل الحادى عشر ، ليس لها تأثير فى المناقشات الجماعية المتشابكة الممتعة حول الموضوعات العقلية ، فالمناقشات المشوقة تعزز المشاركة ، وتقل مشكلات التأديب عندما تصبح المشاركة أقوى . ويجب أن تستخدم المدارس الثانوية هذه المجموعات بوصفها الإجراء التأديبى الأول ، ويمكن معالجة التأديب القليل الأهمية فى اجتماعات الحجرة العادية ، ويجب ادخار المجموعات الخاصة للمخالفات القانونية الكبرى والفشل المستمر .

هناك طريقة جيدة لحفز التلاميذ الذين حصلوا على تقارير سيئة وهى أن

يعطى لهم تقدير عندما يبدأون فى تحسين عملهم ، وتستخدم مدارس كثيرة كتابة تقارير على سوء السلوك أو العجز ، وترسل مدارس قليلة مذكرات خاصة إلى البيت لتخبر الوالدين عن السلوك الحميد أو التقدم العلمى . ولما كانت هذه المذكرات متاحة فى كل نظام ، فيجب استخدامها على نطاق أوسع كثيراً مما تستخدم فى الوقت الحاضر ، وبدلا من كتابة تقرير عن سوء سلوك التلميذ عالج المشكلة فى المدرسة ، وعندما يتحسن سلوكه أرسل لوالديه تقريراً بحسن سلوكه . فيمنح التلميذ اعترافاً بتقدمه ، قد تؤدى المذكرة إلى تخفيف الخلاف بينه وبين والديه .

ويجب عقد اجتماعات قليلة مع الوالدين تخصص لمشكلات التأديب الخطيرة ، إذ أن استدعاء والدى الطفل الذى يتسبب فى المشكلات ، يغلب أن يكون ضرره أكثر من نفعه ، فالوالدان القلقان المضطربان يوبخان طفلهما على إزعاجه لهما ، ويعاقبان الطفل عادة فيتسببان بذلك فى تسوىء الموقف بدلا من تحسينه ، وإذا استدعى الوالدان فيجب أن يكون الطفل موجوداً دائماً عند بحث حالته ، ويجب على المدير أو المستشار إعداد الموقف مباشرة للحل البناء بقوله : « إنا لا نحاول معرفة خطأ من الذى سبب المشكلة ، بل نبحث عن وسيلة لحلها » . ويجب أن يكون اشتراك التلميذ والوالد مقصوراً على الاقتراحات البناءة وليس كما يحدث فى كثير من الأحيان ، البحث عن الخطأ والاتهام ، ويجب أن تكون التوصيات موجزة ومفهومة لكل شخص ، وبعد الموافقة عليها يجب إثباتها كتابة ، ويجب على التلميذ التعهد باتباعها ، ومع ذلك نكرر بأنه يجب استدعاء الوالدين إلى المدرسة فقط بعد فشل كل جهود المدرسة فى التعامل مع التلميذ وحده ، فالطلبة لا يتعلمون النضج والمسئولية باستدعاء والديهم ، بل يتعلمون ذلك بمعالجة المشكلات التى يعيشونها فى المدرسة ومع الناس الذين يعملون فى المدرسة .

ليس هناك ما يثير القلق الشديد فى المدرسة الثانوية أكثر من التقديرات والاختبارات ، وقد أوصيت فى الفصل الثامن أن تحل محل التقديرات ا ، ب ، جـ ، د ، و طريقة النقل إلى فصل أعلى ، وأوصيت فى الفصل السابع

بعدم استخدام الاختبارات الموضوعية فى التقييم ؛ وسأقدم هنا اقتراحاً خاصاً عن الامتحانات ، وهو اقتراح أعتقد أنه ربما يساعد على جعل التربية جهداً عقلياً حقيقياً ، ويخفف من قلق التلميذ ، ويجعل أى نظام للتقدير أفضل حالا يلقى على التلميذ فى الوقت الحاضر مسئولية بسيطة فى تقييم ما هو هام أو غير هام فى مقرراتهم الدراسية ، ولما كانوا يوافقون دون تريث على حكم مدرسهم ، فهم يحاولون معرفة ما يعتبره فى المقام الأول فى الأهمية .

وليس هناك خطأ من جانب المدرسين إذا ما ذكروا لتلاميذهم ما يظنونه على أكبر جانب من الأهمية ، ولكن ليس هنا خطأ أيضاً من جانب التلاميذ إذا ما انتقدوا آراء المدرس وأدلوا بأفكارهم عن المقرر الدراسى .

لقد قدمت اقتراحاً إلى بعض مدرسى الكلية جربه عدد قليل منهم ووجد أنه مفيد ، وذلك أن يضعوا على عاتق التلاميذ مسئولية الاختبارات الخاصة بهم ، إذ يمكن أن يطلب إلى التلاميذ أن يقدموا كل أسبوع سؤالا أو عدة أسئلة للمناقشة ذات علاقة بالمادة التى درست فى ذلك الأسبوع (لا يطبق هذا الاقتراح على مقررات مثل الرياضيات التى يكون فيها حل المسائل هو الأداة الأساسية فى التعليم) ويقيم المدرس الأسئلة ، إما فى أثناء الفصل وإما بواسطة تعليقات مكتوبة . وبعد أن يراجع التلميذ الأسئلة يعيدها . وفى نهاية العام الدراسى يختار المدرس بعض الأسئلة لاستخدامها كامتحان نهائى للطالب ، ويقوم تقييم المدرس للتلميذ على أساس المقرر الدراسى ، على: (١) الأسئلة التى وجهها الطالب . (٢) قدرته فى نهاية نصف العام الدراسى على الإجابة على أسئلته ، إجابة مبنية على تفكير عميق. ويتسلم كل تلميذ لأسئلة الخاصة به ، ولا يكون التلاميذ مسئولين عن الأسئلة التى يقدمها التلاميذ الآخرون ، ولا يمكن لتلميذ على وجه التأكيد أن يشكو من أن المدرس عطاه امتحانا مجحفاً . ووظيفة المدرس تقديم المقرر الدراسى لكى يسأل الطلبة ويجيبون على أسئلته مقنعة . وكل تلميذ يستطيع أن يكون قد درس الموضوع ، وإذا لم يستطع المدرس حمل التلاميذ على توجيه أسئلة هامة وذات علاقة بالموضوع ، فيجب عليه فحص تدريسه ، لا رد الشك فى قدرة التلميذ على التعلم .

وإذا طبقت مقترحات هذا الفصل ، فانها ستصلح بعض العيوب الحالية فى التعليم الثانوى ، وربط هذه المقترحات المقدمة للمدرسة الأولية ، فانها ستطبق بالضرورة على التلاميذ الذين تخرجوا فى المدرسة الأولية ، بخلفية من المشاركة ، وحل المشكلات ، والذين أصبحوا آنئذ مستعدين للالتحاق بالمدرسة الثانوية الدنيا أو العليا junior or senior high بنفس التوجيه . ولا أدعى أن هذه الأفكار هى الإجابة على مشكلات المدرسة الثانوية .

لقد منعتنى تجربتى المحدودة فى المدارس الثانوية من تحليل محتويات المقررات الدراسية ، ومع ذلك ، فمن الواضح أن عدم الملاءمة والتشدد غير الضرورى فى الحقائق يؤديان إلى كثير من مشكلات الطلبة ، فآمل من المربين الذين يوافقوننى على الأفكار الواردة فى هذا الكتاب أن يعملوا على تحسين مضمون المقرر ، ولكن ما لم تصلح المدارس الابتدائية إصلاحاً كبيراً ، وبخاصة بالمدينة المركزية ، فان ما يحدث بالمدارس الثانوية سيكون نظرياً . وقد شددت فى حديثى عن المدارس الابتدائية ، لأن منع المشكلات أيسر كثيراً من توقع الفشل ، فاذا كان هذا الكتاب يساعد على منع الفشل فانه يكون بذلك قد حقق هدفه المنشود .

لقد قدمت بعض المقترحات التى آمل أن تساعد على إعادة التربية إلى هدفها الأصلى : أى إنتاج رجل عميق التفكير ، خلاق حى بعواطفه ، غير هياب ، رجل متأهب لمحاولة حل المشكلات التى تواجهه فى عالمه ، وبالرغم من أنه قد لا يستطيع حلها كلها ، فانه يستطيع حل بعضها ، ولوثوقه أنه يستطيع الاعتماد على نجاحه ، فانه قد يفشل لمدة وجيزة ، ولكنه يعرف للسعادة وفرصه أن بعض النجاح مستطاع ؛ حين لا يواتيه النجاح بسهولة ، فانه لا ييأس . وإذا كان يستطيع التفكير ، وإذا كان يستطيع تقدير الجمال الذى يبدعه الإنسان والطبيعة ، تكون لديه فرصة للشعور بما هو جدير بالاهتمام . والتربية لا تستطيع أن تقدم للرجل أكثر من هذا ، أما الباقى فيتوقف عليه .